

بسمه تعالى

حب الوطن قيمة أخلاقية عليا

على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام

- المقدمة
- أهمية الخوض في هذا الموضوع.
- مفهوم المواطنة عند الأمم والشعوب الأخرى.
- أهمية المواطنة عند الأمم والشعوب الأخرى.
- مفهوم الوطن.
- حب الوطن قيمة عليا.
- المواطنة في نظر أمير المؤمنين عليه السلام.
- الدفاع عن الوطن.
- منغصات العلاقة مع الوطن.

الحمد لله الذي منّ علينا بباب مدينة العلم وينبوع الحكمة وهادي الأمة بعد النذير البشير أعني سيد الأوصياء وإمام الأتقياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وجد الأوصياء محمد الأجد والمصطفى أحمد وعلى آله الطيبين الأطهار.

كثيرة هي القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام وصرح بها الإمام عليه السلام، فلا يحيط بها كاتب تحرير أو خطيب خبير، فمنها ما ورد في تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق، ومنها ما ورد في بيان كيفية التعايش بين المخلوقات أنفسهم، ومنها ما تعرض لبيان قدسية الزمان والمكان، وغير ذلك، ومما ذكر في هذا المورد الأخير، من الأماكن المقدسة هو الوطن، فالوطن قدسية ومهابة في نفوس أهله، وللوطن منزلة وقيمة عظيمة في قلوب ساكنيه، حتى ارتبطت هذه القلوب مع الوطن بوشاح متينة من المحبة والعشق فصار حب الوطن من القيم الأخلاقية العليا بل صار من الإيمان كما ورد في الحديث الشريف: «حب الوطن من الإيمان»^١.

ومن هذا الحب والعشق الكبيرين للوطن ولذة المواطنة الخالصة السليمة، تتفرع عليها وجوب الدفاع عن الوطن وسيادته، وعن البلاد وقداسته.

ففي هذا البحث الموجز نتعرض لبيان - أهمية الخوض في هذا الموضوع - وبيان معنى الوطن في اللغة والاصطلاح، ونسلط الضوء على مفهوم المواطنة وأهميتها عند الأمم والشعوب، كما نتعرض إلى بيان العوامل المؤثرة في انخفاض الشعور بالمواطنة على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام - قدسية الدفاع عن الوطن - معنى حب الوطن الخلاصة.

أهمية الخوض في هذا الموضوع

إن الحديث عن الوطن والمواطنة أمر اهتمت به أكثر الأمم والشعوب، بل قام حكامها وحكماؤها بوضع مناهج تربوية لتعليم المواطنة الصالحة، ولكي تتضح الحكمة من طرح هذا الموضوع والخوض في جزئياته لابد من بيان الأسباب الداعية لذلك وهي كما يلي:

١ - البلد يعيش أزمة ثقة في التعامل الحياتي المتجسدة في السلوكيات المنحرفة كالنصب والاحتيال والرشوة والخيانة والغش والتزوير وشراء الذمم؟
٢ - تفشي مظاهر العدوانية والاتساع والتطرف بكل أشكاله والإقصاء والإخلال بأبسط قواعد الاحترام والتملص من الواجبات والاستخفاف بالقوانين والأعراف وطغيان المصلحة الشخصية على المصلحة العامة؟

٣ - المعاناة من وطئة الفساد الإداري والمالي والسياسي.

٤ - تدني المستوى الفكري والثقافي عند نسبة كبيرة من المجتمع.

٥ - وجود التناحر والتجاذب بين الأحزاب والشخصيات السياسية والاجتماعية.

٦ - ومن أهم ما يدعونا على طرح هذا الموضوع هو عملية التغيير في معظم دول العالم ولتأثير العولمة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي أثرت بدورها في تماسك بعض

^١ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٥، عن سفينة البحار.

المجتمعات واستقرارها، وظهور قيم واتجاهات وأنماط تفكير جديدة قد لا تتفق مع طبيعة هذا المجتمع أو ذلك أدى كل هذا إلى ضعف الشعور بالانتماء الوطني (المواطنة) وضعف المشاركة الصالحة والفعالة في خدمة المجتمع الإسلامي والمدني، بالإضافة إلى عجز الفرد عن مواجهة متطلبات الحياة المعقدة والمتزايدة وعجزه عن تأمينها في الحاضر والمستقبل لاسيما في ظل الأنظمة السياسية الجائرة، هذا كله يدعونا إلى تعزيز وترسيخ قيم المواطنة الصالحة.

ولهذه الأسباب وغيرها نجد ضرورة التحلي بالمواطنة الصالحة وضرورة الحفاظ على إيماننا كاملاً من خلال حب الوطن واحترام المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية أو المذهبية والقومية انطلاقاً من قول بطل الحرية والسلام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر... قال:

«فإنهم (الرعية) صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»^١.

ولاهتمام الإسلام بالوطن والمواطنة قبل ألف وأربعمائة عام نجد أن ما قاله المفكرون والمنظرون من الغربيين هو ميل على فكر أهل البيت عليهم السلام ونهجهم، ولأهمية المواطنة في حياة الأمم والشعوب نجد هذا الاهتمام الكبير بتعريفها وبيان ماهيتها.

مفهوم المواطنة عند الأمم والشعوب الأخرى

اشتق من كلمة الوطن مجموعة كلمات كالمواطن وهو الذي يشترك في الإقامة والسكن مع غيره في الوطن، واشتقت كلمة المواطنة على وزن مفاعلة: وهي المعاشرة والمخالطة مع الآخرين في حدود ذلك الوطن، وللمواطنة تعاريف أخرى ذكرها أهل الاختصاص نذكر منها ما يلي:

١ - هي كلمة مشتقة من كلمة الوطن على وزن مفاعلة وهي صفة يكتسبها شخص ينتمي إلى وطن معين يحمل جنسية ويتخذه مكاناً يقيم فيه وهناك من قال أنها: خلق المواطن الصالح، ومن قال: إنها المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، ومن قال: أنها مكوّن أساسي رديف للديمقراطية^٢.

٢ - عرّفها أرسطو من خلال تعريف المواطن فقال: المواطن هو الذي يقيم في مكان وحد معين وقد أسهم في إقامة العدل فيه^٣.

٣ - تشير الموسوعة البريطانية فتقول: المواطنة هي علاقة فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق تلك الدولة^٤.

٤ - تشير موسوعة كولير الأمريكية: المواطنة أكثر كمالاً من العضوية في المشاركة السياسية، فالمواطن يدين بالولاء التام للدولة وهو يتمتع بكامل الحقوق المدنية والسياسية، فحقوق وواجبات تكون عادة أكثر شمولية من الآخرين ضمن سيادة دولته، كالأجانب أو الأشخاص الذين يقيمون في المستعمرات^٥.

^١ نهج البلاغة: ص ٤٥٨.

^٢ المجتمع المدني: ص ٣٨.

^٣ المجتمع المدني، د. عيسى الشماس: ص ٣٨.

^٤ المصدر السابق.

^٥ المجتمع المدني، د. عيسى الشماس: ص ٣٩.

أهمية المواطنة عند الأمم والشعوب الأخرى

لا شك في أهمية المواطنة عند جميع الأمم والشعوب، وهذا ما نلمسه من خلا وقوفنا على اهتمام هذه الأمم والشعوب بتربية المواطنين على المواطنة، بل وضعوا تعريفات متعددة لهذه التربية نذكر منها ما يلي:

١ - حددها - فرانس أوديغي بأنها تربية تسعى إلى نقل مبادئ وقواعد الحياة الفردية والجماعية للتعليم.

٢ - يراها أديل وبنستوك أنها تشير إلى ثلاثة أبعاد من الرابطة الاجتماعية والسياسية الوضع القانوني، أي أن المواطن يحظى بحقوق وعليه واجبات ومسؤوليات خلافاً للسكان العادي.

٣ - هي عدد من الممارسات: فالمواطن هو من شارك في حياة المؤسسات السياسية وفي الحفاظ على المصلحة العامة.

٤ - اقترح المجلس الأعلى في كيبك كندا، تعريفاً للمواطنة قال: هي القدرة على التعايش في مجتمع ديمقراطي تعددي منفتح على العالم، والقدرة على الاسهام والمشاركة في بناء مجتمع عادل.

ولشدة اهتمام هذه الأمم والشعوب نجد أن هولندا سعت إلى وضع برنامج تعليمي للمواطنة بعد ظهور العنف وقمع الأقليات ومعادات الاختلافات الثقافية ولا بأس أنذكر صفات هذا البرنامج لخلق مواطن عالي يقولون:

- * معالجة المشكلات ضمن المنظور العالمي.
- * ممارسة التفكير النقدي.
- * التعدد على التعاون وتحمل المسؤوليات.
- * حل النزاعات بطرق سلمية.
- * قبول الاختلافات الثقافية.
- * تغيير أنماط الحياة لحماية البيئة.
- * الدفاع عن حقوق الإنسان.
- * المشاركة في الحياة السياسية.

مفهوم الوطن

إن مفهوم الوطن أخذ من الفعل وطن بالمكان ولكي يتضح هذا المفهوم نتعرض لبيان معناه في اللغة والاصطلاح.

الوطن في اللغة:

هو مكان إقامة الإنسان ومقرّه، وإليه انتمائه ولد به أو لم يولد^١.
أو هو منزل إقامة الإنسان ولد فيه أو لم يولد^٢.

^١ المعجم الوسيط: ص ١٠٤٢.

^٢ المنجد: ص ٩٠٦.

الوطن في الفقه:

هو أحد المواضع الثلاثة:

- ١ - مقر الإنسان الأصلي الذي ينسب إليه، ويكون سكن أبويه ومسقط رأسه عادة.
- ٢ - المكان الذي اتخذه مقراً ومسكناً دائماً لنفسه بحيث يريد أن يبقى فيه بقية عمره.
- ٣ - المكان الذي اتخذه مقراً لفترة طويلة بحيث لا يصدق عليه أن سافر فيه، ويراه العرف مقراً له^١.

الوطن في الاصطلاح:

هو مكان ذات حدود معينة يشترك في الإقامة والسكن فيه كثير من الناس تربطهم روابط متعددة كالدين أو اللغة والتقاليد والمصالح المشتركة أو التاريخ أحياناً. وعرفه آخرون (هو قطعة من الأرض تعمرها الأمة، وبشكل خاص هو المسكن)^٢. فالوطن هو ما ولد فيه المرء أو نشأ فيه وترعرع أو اختار أن يكون مقراً يعيش فيه. وذكر الحنابلة مجموعة من العناصر التي تكوّن مفهوم الوطن والتي من خلالها يستطيع المرء أن يطبق المواطنة وهي: الأرض والدم واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة، فإذا توفرت هذه العناصر أو بعضها لدى جماعة من الناس كانوا بذلك أمة أو شعباً.

حب الوطن قيمة عليا

الحب في اللغة:

حُبٌّ - حُبّاً - ودّه - و - الشيء: رغب فيه - استحَب: فضّل (استحب الكفر على الإيمان) أي فضله، المحبّة: ميل الطبع إلى الشيء^٣.

الحب في الاصطلاح:

هو الميل نحو الشيء، وهو شعور قلبي بالود والرغبة نحو الشيء المحبوب الملائم للنفس وله آثار جميلة.

وقد تقدم بيان معنى الوطن، فصار حب الوطن: ود ورغبة وميل نحو المكان الذي هو محل استقرارنا وسكننا أو مسقط رأسنا، وفراغ طفولتنا وكتاب ذكرياتنا ومقام نشأتنا ومعقل عزنا ونعمة ربنا وأرض جذورنا وعمارة آبائنا وتاريخ أجدادنا ومنبع مصالحنا و... والخ.

فيرتفع حب الوطن في قلوب أهله إلى درجة التفاني والفناء من أجل هذا الوطن، ولأن حبه من القيم الأخلاقية العليا التي ينبغي للمواطن الصالح أن يتصف بها نجد أقوال أمير المؤمنين عليه السلام ترشدنا إلى الكثير من الصفات التي يجب التلبس بها للحفاظ على هذه الإرشادات العلوية والأوامر الإسلامية التي صدرت عن إمام المتقين عليه السلام وقفة محلل ودارس يريد الوصول إلى القرب الإلهي من خلال تطبيق هذه الإرشادات، وهي كما يلي:

^١ المسائل المنتخبة، آية الله العظمى السيد السيستاني: ص ١٩٣.

^٢ المجتمع المدني، د. عيسى الشماس: ص ٤٨.

^٣ المنجد: ص ١١٣.

١ - أرشدنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن عمارة الوطن لا تتم إلا بحبه كما في قوله:

«عمرت البلدان بحب الأوطان»^١.

ويا لها من حكمة رائعة أشار فيها الإمام عليه السلام إلى أمور كثيرة نذكر منها ما يلي:

ألف: إن حب الوطن أمر قلبي باطني وليس فعلاً ظاهرياً حسناً فحسب.
باء: إن حب الوطن يقودنا إلى ضرورة التحلي بصفات المواطن الصالح وهذا ما سنذكره في بحث (المواطنة في نظر أمير المؤمنين عليه السلام) وسيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

جيم: يشير هذا الحديث إلى أن إعمار البلد واجب إنساني لا يمكن الاستغناء عنه، وهذا يحتاج إلى رغبة كبيرة لكي يتحقق هذا الأعمار وهذا لا يتم إلا بالحب.
دال: يشير الحديث الشريف إلى ضرورة أن يكون الأعمار بإخلاص ودقة وهذا لا يحصل إل إذا كان عن حب ورغبة فلذا قال عليه السلام:
«عمرت البلدان بحب الأوطان».

هاء: إن إعمار البلد يحتاج إلى اختيار الطريقة الأفضل من حيث الكم والكيف، وهذا الاختيار بدوره يحتاج إلى مختار كفوء ومخطط كفوء ومحب لبلده.

واو: لو تقاطعت مصلحة الوطن مع مصلحة الفرد ينبغي تقديم مصلحة الوطن على مصلحة النفس وهذا لا يتم إلا إذا كان الفرد يحب وطنه أكثر من حبه لنفسه.

٢ - أرشدنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن من خلق المرء الكريم هو الحنين إلى وطنه كما في قوله:

«من كرم المرء بكأؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه»^٢.

ويشير هذا الحديث الشريف إلى ما يلي:

ألف: إن الشوق إلى الوطن يقتضي أن يكون في قلب المشتاق حبا لوطنه، وإلا لا يمكن للشوق أن يحصل دون وجود ذلك الحب، فإذن الحنين إلى الوطن يدل على حبه.

باء: إن الحنين إلى الأوطان هو قيمة أخلاقية أخرى تضاف إلى قيمة الحب المرتكزة في قلب المرء، فلذا عدت من مكارم الأخلاق.

جيم: إن للكريم صفات تدل على كرمه منها الحنين إلى الوطن، فكأن الحنين من فروع الكرم.

٣ - روي أن (حب الوطن من الإيمان)^٣.

هذا الحديث يشري إلى ما يلي:

ألف: إن للإيمان مصاديقاً متعددة (كالنظافة من الإيمان^٩، وكقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحياء شعبة من الإيمان»^١.

^١ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٥.

^٢ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٥، برقم ٤٠٤٥، ح ٢١٩١١.

^٣ المصدر السابق.

وكذلك حب الوطن فهو من الإيمان أيضاً، وفي هذا دلالة على ضرورة التحلي بهذا الحب.

باء: إن هناك علاقة بين رضا الله تعالى وبين حب الوطن، فحب الوطن عمل يرضى الله تعالى به بل يؤجر عليه وإلا لو لم يكن كذلك لما تدينا إلى التحلي به.

جيم: يظهر مما تقدم أن الوطن شيء مقدس ينبغي الاهتمام به.

دال: إن بغض الوطن والاعتداء عليه والإساءة إلى سمعته مخالف للإيمان، بل قد يجر إلى الوقوع في الحرام لأنه مخالف للمكارم وكل من خالق المكارم وقع في المحارم وهذا مفهوم الحديث الشريف:

«من أحسن المكارم تجنب المحارم»^١.

وكل من لم يحسن المكارم يقع في المحارم.

٤ - من عمارة الوطن الحرص على إعلاء رايته وتقدمه في كل مجالات الحياة سواء كانت ثقافية أم عسكرية أم اقتصادية أم علمية أم رياضية أم غيرها كما في قوله: «عمرت البلدان بحب الأوطان».

المواطنة في نظر أمير المؤمنين عليه السلام

إن التعاريف التي ذكرها الغربيون لا تتعدى الاهتمام بالبعد المادي للإنسان، بينما نجد الإسلام قد وضع أسساً للمواطنة تتجاوز البعد المادي إلى البعد المعنوي للإنسان، فصار مفهوم المواطنة في الإسلام مفهوماً أكثر قِيماً مما هو عليه عند الغربيين وهذا ما نلمسه في أقوال أمير المؤمنين عليه السلم الذي يجسد الإسلام الحقيقي والصحيح، فلقد أرشدنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى مجموعة صفات وقيم أخلاقية تكون بمثابة الأسس الصحيحة للمواطنة.

١ - إذا قلنا أن المواطنة هي علاقة الفرد مع المجتمع فهذا يقتضي مخالطة صحيحة وعشرة طيبة وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«خالطوا الناس مخالطة إن مَتَّ معها بكوا عليكم، وإن عَشْتَم (غبتم) حَنُّوا إليكم»^٢.

٢ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة أ، تكون نقيماً وفاعلاً للخير دائماً، وتاركاً للشر إلى درجة أن يأمنك الناس دائماً كما في قوله:

«الخير منه مأمول، والشر منه مأمون»^٣.

٣ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة أن تكون سخياً عند معاشرتك للناس كما في قوله عليه السلام:

«إنَّ الله تبارك وتعالى رضي لكم الإسلام ديناً، فأحسنوا صحبته بالسَّخَاء وحسن الخلق»^٤.

٤ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة أن تتصف الناس من نفسك وأن لا تظلم أحداً منهم وأن تحسن إليهم بل يترقى في الكمال من الفعل الظاهري إلى الفعل الباطني فيقول أحبب لهم ما تحب لنفسك وهذا صريح قوله عليه السلام:

^١ ميزان الحكمة: ج١، ص٢٩٧.

^٢ ميزان الحكمة: ج٢، ص٣٣١.

^٣ ميزان الحكمة: ج٦، ص٣١، ح١٣٠٦٩.

^٤ نهج البلاغة: ص٣٣١، خطبة المتقين.

^٥ ميزان الحكمة: ج٤، ص١٨٩، ح٨٥٦٥.

«اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، لا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس ما ترضى لهم منك»^١.

٥ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن من المواطنة الصالحة أن تحترم أصحاب الديانات الأخرى كما في قوله:

«.... وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته»^٢.

٦ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة أن لا نأكل مال الغير أو دون استحقاق فيقول:

«من يكتسب مالاً من غير حقه يصرفه في غير أجره»^٣.

٧ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة أن تستمر مالك وتصلحه لتنتفع به وتنتفع به الآخرين كما في قوله:

لم يكتسب مالا من لم يصلحه»^٤.

٨ - يرشد أمير المؤمنين عليه السلام الحاكم الذي يريد أن يكون مواطناً صالحاً أن ينظر إلى المال العام على أنه حق المواطنين وليس حقه الشخصي فيتصرف كيفما يريد كما في قوله لعبد الله بن زمعة لما طلب منه مالاً في خلافته:

«إنّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب (حلب) أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»^٥.

٩ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن المواطنة الصالحة التي تجب على الحاكم أن يكون متواضعاً مع الناس ومنصفاً لهم حتى لمالك الأشر رضي الله عنه نذكر منها محل الشاهد كقوله في التواضع:

«إيّاك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحبّ الإطراء؛ فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين»^٦.

١٠ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام المواطنة الصالحة هي عدم مشاركة الحكام الظلمة في ظلم الناس كما في قوله:

«من أعان على مسلم فقد بُرئ من الإسلام»^٧.

١١ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن النصيحة هي إحدى مصاديق المواطنة الصالحة، فلذا يجب على الحاكم الحق أن يكون ناصحاً لشعبه ولأمتة كما في قوله عليه السلام:

«أيّها الناس، إنّ لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم... وأمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب»^٨.

وكذلك يجب على المحكوم أن يكون وفيّاً وناصحاً أيضاً لحاكمه، وكذلك يجب على

^١ ميزان الحكمة: ج٦، ص٣٣ - ٣٤، ح١٣٠٨٧.

^٢ ميزان الحكمة: ج٦، ص٣٥، ح١٣١٠١.

^٣ ميزان الحكمة: ج٨، ص٢٥٧، ح١٩٤٥٧.

^٤ ميزان الحكمة: ج٨، ص٢٤٨، ح١٩٤٢٢.

^٥ ميزان الحكمة: ج٨، ص٢٦٣، ح١٩٤٩٩.

^٦ ميزان الحكمة: ج٩، ص٥٨٩، ح٢٢٧٦٠.

^٧ ميزان الحكمة: ج٤، ص٢٧٨، ح٨٩٩٤.

^٨ ميزان الحكمة: ج٩، ص٢٨، ح٢٠١٩٣.

المواطن أن يكون ناصحاً لغيره من المواطنين بل لجميع الخلق كما في قوله عليه السلام:

«إمحض أخاك النصيحة، حسنة كانت أو قبيحة»^١.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام الذي لا يختف عن قول جده أمير المؤمنين عليه

السلام:

«عليكم بالنصح لله في خلقه...»^٢.

١٢ - ومن المواطنة الصالحة التعاون على إقامة العدل وسيادة الحق وهذا ما صرح

به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

(ميزان الحكمة: ج٩، ص٢٨، ح٢٠١٩٥).

١٣ - ولكي يتصف المواطن بالصلاح لابد أن يكون أميناً بل لا يكون مؤمناً إلا إذا

اتصف بالأمانة وهذا ما أمرنا به أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«من لا أمانة له لا إيمان له»^٣.

١٤ - أن القاضي الذي يقضي بالحق هو مواطن صالح بنظر أمير المؤمنين عليه

السلام فلذا نراه يقول:

«أفضل الخلق أقضاهم بحق...»^٤.

ويجب على القاضي أن يساوى بين الناس دون أن ينحاز إلى أحد الطرفين وهذا ما

أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام شريحا القاضي فقال له:

(ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٣٥، ح١٦٩٦٤).

١٥ - يرى الإمام عليه السلام أن الحرص على خدمة الناس وراحتهم وإسعادهم من

خلق المؤمن وصلاحه، وهذا عين المواطنة والصالحة فلذا أرشدنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله:

«المؤمن نفسه منه في تعب والناس منه في راحة»^٥.

١٦ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن السياسي إذا أراد أن يكون مواطناً صالحاً

عليه أن يتصف بالعدل والعفو ولذا قال:

«جمال السياسة العدل في الإمرة، والعفو مع القدرة»^٦.

وقال أيضاً عليه السلام:

«خير السياسات العدل»^٧.

١٧ - يرى الإمام عليه السلام أن عدم الاحتكار من قبل التجار هو من أخلاق المواطن

الصالح، وأما الاحتكار فهو من أخلاق المواطن الطالح وهذا ما أشار إليه بقوله:

«الاحتكار شينة الفجار»^٨.

وقوله عليه السلام:

«الاحتكار رذيلة»^٩.

^١ ميزان الحكمة: ج٩، ص٢٧.

^٢ ميزان الحكمة: ج٩، ص٢٨، ح٢٠١٩٩.

^٣ ميزان الحكمة: ج١، ص٣١٩، ح١٥٤٤.

^٤ ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٣٠، ح١٦٩٣٤.

^٥ التفسير المعين: ص٤٢٧، عن البحار.

^٦ ميزان الحكمة: ج٤، ص٣٣٢، ح٩١٨٨.

^٧ المصدر السابق.

^٨ ميزان الحكمة: ج٢، ص٤٢٧، ح٤٣٣٢.

١٨ - إن المواطنين الذميين الذين يعيشون مع المسلمين لهم حق الوفاء بالعهد ومراعاة الذمة، وهذا من مصاديق المواطنة الصالحة فلذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على مراعاة الذمة والوفاء بالعهد في عهده للأشتر كما في قوله:

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وأرع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشنت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود»^١.

١٩ - يرى أمير المؤمنين عليه السلام أن مراعاة حق الرعية من قبل الوالي (الحاكم) ومراعاة حق (الحاكم) من قبل الرعية من مصاديق المواطنة الصالحة كما في قوله: «وأعظم ما افترض (الله) سبحانه من تلك الحقوق: حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي»^٢.

٢٠ - أفضل ما يجمع مصاديق المواطنة الصالحة هو فعل المعروف لجميع الناس سواء كان ذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فإما ما كان مباشرة فلقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام به كما في قوله:

«أبذل معروفك للناس كافة؛ فإن فضيلة فعل المعروف لا يعدلها عند الله سبحانه شيء»^٣.

وأما ما كان بطريقة غير مباشرة صرح به الإمام عليه السلام بقوله: «من ردّ عن المسلمين عادية ماء، أو عادية نار، أو عادية عدو مكابر للمسلمين، غفر الله له ذنبه»^٤.

وهناك صفات أخرى تشير إلى المواطنة الصالحة تركنها للاختصار.

الدفاع عن الوطن

يُعد الدفاع عن الوطن فرع من فروع الحب، بل هو أجلى مصاديق الحب له وأكثرهما أهمية وأقدسها، فالدفاع حث عليه القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وحيث أن البحث يطرح على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام نقول أن الإمام سلام الله عليه بيّن في استنهاضه لأصحابه ضرورة الدفاع عن حياض الوطن كما في قوله عليه السلام:

«أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه، رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدبيل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف.

ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا.

فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان»^٥.

ولتغير الزمان تغيرت أساليب الاعتداء على الأوطان فتغيرت كذلك وسائل الدفاع

^١ ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٤٢٧، ح ٤٣٣٣.

^٢ ميزان الحكمة: ج ١، ص ٣٢٥، ح ١٥٧٦.

^٣ ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٤٢١، ح ٤٣٠٨.

^٤ ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٥١٨، ح ١٢٤٧٨.

^٥ ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٥٢٥، ح ١٢٨٠٣.

^٦ نهج البلاغة: ص ٦٤ - ٦٥، الخطبة ٢٧.

وطرقه، فمن أساليب الاعتداء، الاعتداء على مياه الوطن، ومن أساليبه أيضاً التنافس الاقتصادي، من خلال سرقة الثروات، وكذلك العمل على ضرب عملة البلد أو إرسال الصفقات التجارية الفاسدة وغير ذلك، فلذا يجب على كل مواطن يتحلى بحب الوطن أن يمنع وقوع مثل هذه التجاوزات والاعتداءات، وعلى كل مواطن أن يساهم في دفع الشر عن وطنه سواء كان ذلك بالدفاع المباشر أو بكشف من يكيد لهذا الوطن، وإلا تحول الوطن إلى مكان فاقد للأمن والاستقرار والراحة والسرور، وهذا ما يرفضه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«لا خير.... في الوطن إلا مع الأمن والمسرة»^١.

فالدفاع عن الوطن من أجل مصاديق المواطنة الصالحة، ومن مصاديق المواطنة الصالحة التي لها علاقة بالدفاع عن الوطن هي الأمانة وعدم الخيانة، فلا يجوز خيانة الوطن سواء كنت حاكماً أم محكوماً، أو كنت حارساً أم محروساً، فإن الخائن ليس بمؤمن لأن الخيانة ليس من طبيعة المؤمن كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام: «يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب»^٢.

وخيانة الأمة أعظم أنواع الخيانة كما رح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفضل الغش غش الأمة»^٣.

منغصات العلاقة مع الوطن

لا شك في صدق مشاعر المؤمن إزاء وطنه ودينه وقومه، ولكن قد يمر المؤمن بظروف قاهرة تنغص حياته وتؤثر على علاقته مع وطنه، إلا أن ذلك لا يصل إلى درجة بغض الوطن أو التنصل منه أو تفضيل غيره عليه، وإنما يقوم المواطن بالبحث عن حلول ناجحة للتخلص من هذه الظروف، ومن هذه المنغصات الفقر في الوطن فإنه يشعر صاحبه بالغربة لعدم مد يد المساعدة إليه، فلذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة»^٤.

لا يراد منه بغض الوطن أو كراهيته، وإنما أراد الإمام عليه السلام الإشارة إلى آثار الفقر المؤلمة، إذ أن الفقير يبتعد الناس عنه ولا يلتفون حوله كما يلتفون حول الغني مما يشعره بالغربة رغم وجوده يهم ومعهم، ومن المنغصات التي ذكرها الإمام عليه السلام ما كان مرتبطاً بذات المواطن ألا وهو الحمق فلذا نراه يقول: «العقل في الغربة قربة، والحمق في الوطن غربة»^٥.

والمنغصات التي تجبر العبد على هجرة بلده والابتعاد عنه هي عدم الأمان وعدم وجود الحرية التي تسمح بممارسة الشعائر والطقوس الدينية لهذا الوطن وفقدان الراحة والمسرة وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «لا خير في الوطن إلا مع الأمن والمسرة»^٦.

^١ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٩، ح ٢١٩٢٤.

^٢ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٧٨، ح ٥٥٢٣.

^٣ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٨٠، ح ٥٥٣٩.

^٤ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٨، ح ٢١٩١٧.

^٥ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٨، ح ٢١٩١٩.

^٦ ميزان الحكمة: ج ٩، ص ٤١٩، ح ٢١٩٢٤.

لكن مع وجود هذه المنغصات لا يريد الإمام عليه السلام أن نبغص الوطن، لأن حبه من الإيمان كما تقدم، كما لا يصح ولا يجوز خيانة الوطن بسبب هذه المنغصات فإن الخيانة لا تبرر بأي حال من الأحوال.

الدولة تفرجات على حب الوطن

مما يتعلق بحب الوطن ويتفرع على عنوان المواطنة الصالحة هو إقامة الدولة التي تدير هذا الوطن، وبيان نوعها وما يوجب زوالها أو بقاءها، وهذا ما سنتعرض له على النحو التالي:

١ - إن للدولة عمراً ومدة وأجل كما لغيرها، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«لكل دولة برهة»^١.

وفي قوله هذا دلالة على أن الدولة هي الحكومة التي تدير البلد، فهي من نوع المتغيرات التي لا دوام لها فلذا ورد عنه عليه السلام:

«الدولة تقبل وتدبر»^٢.

٢ - بين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن الحكومات والدول تتصف تارة بكونها دولة أو حكومة حسنة وعادلة وتارة أخرى قبيحة وجائرة، وهذا مما ينعكس على الحاكم والمواطن معاً فلذا نجده يقول:

«دولة الأكابر من أفضل المغانم، دولة اللئام مذلة الكرام»^٣.

ويقول عليه السلام:

«دولة الكريم تظهر مناقبه، دولة اللئيم تكشف مساويه ومعاييه»^٤.

ففي القول الأول تكون الدولة والحكومة القبيحة مذلة للكرام، وفي القول الثاني يظهر أن نوع الدولة والحكومة لها الأثر الكبير على ذات الحاكم قبل المحكوم، ولذا يجب أن يتحلى الحاكم بصفات المواطن الصالح لكي لا يوصف باللئيم والفجور.

٣ - حذر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قيام دولة الأشرار والفجار والأوغاد لما في ذلك من آثار سلبية في قيامها وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة الآتية:

ألف: من الآثار السلبية لدولة الأشرار وقوع الأشراف والأخيار في حيرة وآلام وهذا ما صرح به الإمام عليه السلام بقوله:

«دول الأشرار محن الأخيار»^٥.

باء: ومنها ما يصيب الأبرار المؤمنين من مذلة ظاهرية وانتهاك للحرمان كما في قوله عليه السلام:

«دول الفجار مذلة الأبرار»^٦.

فقيام الدول القبيحة ووقوع الآلام والمصائب على المواطنين الصالحين يرجع على

^١ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٣٨.

^٢ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٣٩.

^٣ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤١.

^٤ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤٢.

^٥ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤٦.

^٦ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤٧.

فقدان المواطنة الصالحة وعدم حب الوطن والمواطنين.

جيم: ينصح أمير المؤمنين عليه السلام الأمة بعدم السماح للأوغاد أن يصلوا إلى سدة الحكم أو يؤسسوا الدولة لما في ذلك من فساد وجور، وهذا ما يشير إليه عليه السلام بقوله: «دولة الأوغاد مبنية على الجور والفساد»^١.

ففي تسلط هؤلاء الأوغاد يقع الفساد بكل أنواعه كالفساد الأخلاقي والفساد المالي والفساد الاقتصادي والفساد السياسي، لأن الأوغاد مواطنين غير صالحين، وغير محبين لوطنهم، بل حبههم لمصالحهم وشهواتهم فوق حبههم لوطنهم ومواطنيهم بل فوق دينهم إذا كان لهم دين.

٤ - نصح الإمام عليه السلام الحكام التي تحرص على دوام حكوماتها ودولها أن تلتزم بمجموعة نصائح وإلا تزول هذا الدول وتتدحر الحكومات، ولكي نقف على هذه النصائح نورد لكم هذه الأحاديث الشريفة.

ألف: مما يوجب زوال الدولة هو تقديم الأراذل وتأخير الأفاضل، وترك الأصول والاهتمام بالفروع وهذا هو نص قوله عليه السلام: «يستدل على إديار الدول بأربع: تضييع الأصول، والتمسك بالفروع، وتقديم الأراذل، وتأخير الأفاضل»^٢.

باء: وجود غوغاء القوم وسقاطهم، ومن هو خسيس في كيان الدولة أو تأتي به إلى الحكم فهذا مما يوجب زوالها وسرعة سقوطها وهو ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«زوال الدول باصطناع السفل»^٣.

جيم: ومما يوجب بقاء الدولة ونجاحها أداء الحقوق بين الراعي والرعية، وبين الحاكم الحق والمحكوم، وشياع العدل والحفاظ على الدين وشكر النعم، وهذا ما أشارت إليه الأحاديث التالية:

- ما يشير إلى أداء الحقوق قوله عليه السلام:

«وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي... فإذا أدت الرعية على الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء»^٤.

- ما يشير إلى أن العدل يديم بقاء الدولة قوله عليه السلام: «ثبات الدول بإقامة سنن العدل»^٥.

- ما يشير إلى أن الحفاظ على الدين يساعد على استمرار الدولة قوله عليه السلام: «صير الدين حصن دولتك، والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل نعمة يحرزها الشكر لا تسلب»^٦.

- ما يشير إلى أن الشكر يوجب البقاء قوله عليه السلام:

^١ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤٨.

^٢ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥ - ٣٠٦، ح ٦٣٥٠.

^٣ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ٦٣٤٩.

^٤ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٦، ح ٦٣٥٣.

^٥ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٦، ح ٦٣٥٥.

^٦ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٦، ح ٦٣٥٨.

«صير الدين حصن دولتك، والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل
نعمة يحرزها الشكر لا تسلب.

٥ - أشار الإمام عليه السلام إلى أمر مهم جداً يحافظ على استمرار الدولة الصالحة -
وبقائها مدة أطول من الدولة الطالحة ألا وهو النباهة والفتنة لحراسة الدولة بقوله عليه
السلام:

«من أمارات الدولة اليقظة لحراسة الأمور»^١.
فكل ما تقدم يعود في أصله إلى حب الوطن والتحلي بصفات المواطن الصالح.

^١ ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٠٦، ح ٦٣٦٠.